مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٦/٥/١٤

الثـــورة .. والشـــرعية

ان يوم ١٥ مايو — يعد بكل المقاييس والابعـــاد — نقطة تحول هامة ومؤثرة في تاريخ مصر المعاصر، بل وفي مستقبلها ايضـــا .. وهى نقطة تحول ايضا بالنسبة لوطننا العربي كله

ولست اقول ذلك حماسا لثورة ١٥ مـــايو ولا احسبنى اغالى عنـــدما اقول ان اثرها يمتد الى الوطن العربى كله ، والعالم الثالث من حوله ..

لقد كان يوم ١٥ مايو اشارة البدء لشعب عاش مرارة هزيمة وتعرض لحملة دعائية لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، وظن اعداء مصر انها انتهت ، وان تاريخها القديم ، وحضارتها التى امتدت الى العالم كله ، لن يعطيها — مهمـــا كان الامر — ان يساعدا فى أن تعود مصر لكى تحتل مكانها الطبيعى فى العالم كله ، ومكانها القيـــادى فى العالم العربى ، وعـــالم عدم الانحياز ..

وجاء ١٥ مايو ليحطم هذا الوهم ، وليؤكد ان مصر قادرة على أن تستوعب الهزيمة ، وتتخطاها ، ثم تنطلق بعد ذلك لكى تحقق المعجزة العسكرية التى شهد بها أعداؤها قبـــل اصدقائها ..

وقبل الدخول فى تفاصيل تحقيق المعجزة هناك ســـؤال يفرض نفسه يقول :

— هل كان ١٥ مايو حركة تصـــحيح أم ثورة تصحيح ؟

واجابتى على السؤال — والتى تنبع من واقـــع الفكرة من وراء ١٥ مايو تقول انها كانت ثورة بكل ما تفرضـــه الثـــورة من اجراءات ، وبكل ما تتطلبه الثورة من شجاعة وحسم

ذلك أن يـــوم ١٥ مايو لم يفرض نفسه على تاريخ مصر لكى يقضى على مراكز القوى .. لم يكن هذا هو الاساس فى ثورة التصحيح ، انما قد تكون الحركة التى قامت بها هذه المراكز قد عجلت بقيـــام ثورة التصحيح .. انما هى كانت ستجىء حتما ..

لقد قامت ثورة التصحيح فى اعتقادى لكى تصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو ..

وتصحيح مسار ثورة لا يتم بحركة ، انما لابد وان يتم بثورة مثلها تماما ، تعمل بالاسلوب الثورى وبالروح الثورية ، على القضاء على كل العوامل التى تكتلت لكى تنحرف بثورة ٢٣ يوليو الى طريق لم يكن فى حساب ، ولا فى تصور الذين قادوها .

ولابد من وقفة هنا ، نعود معها الى الوراء ، الى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ..

لقد كانت تلك الهزيمة نتيجة لخطأ فى النظام وكان قرار الرئيس عبد الناصر بالتنحى اعترافا منه بأن النظام مسئول مسئولية مباشرة عن الهزيمة.

وكانت مسيرة الجماهير التلقائية يومى ٩ و ١٠ يونيو تمسكا بعبدالناصر نفسه وليس بالنظام أو المنهج الذى يسير عليه ، بدليل أن عبد الناصر بعد أن عاد لتولى السلطة قام بتعديلات واسعة انتهت بصدور بيان ٣٠ مارس .

ومع ذلك فعندما انتقل الرئيس عبد الناصر الى رحمة الله ، لم تكن التعديلات التى أجراها قد أدت الى تغيير النظام وأسلوبه فى الحكم ، ولم يكن بيان ٣٠ مارس قد تحول من مبادىء على الورق الى تطبيق عملى ينعكس اثره على جماهير الشعب .

اذن ، كان على الرئيس السادات عندما تولى السلطة ان يقوم بثورة على الاوضاع القائمة لكى يعيد ثورة ٢٣ يوليو الى مسارها الحقيقى أى يعيد اليها شرعيتها ..

وبدأ الرئيس السادات بعد توليه بشهرين خطوات العمل وكانت البداية الطبيعية هى التخلص من مراكز القوى ..

وخرجت جماهير الشعب تجدد ثقتها بالرئيس السادات وتؤكد — فى استفتاء غيرمسجل — تاييدها الذى اعطته له فى الاستفتاء الذى جرى قبل احداث ١٥مايو بسبعة اشهر ..

وهؤلاء الذين يتسابقون اليوم لارتداء قميص عبدالناصر ويحاولون الفصل بين ثورة ٢٣ يوليو وثورة ١٥ مايو ، انما هم مجموعة ابعدت عن المسرح وقضى على انتهازيتها ، وتحكمها ووضع حد للمكاسب التى كانت تحصل عليها على حساب الشعب وانسانيته وكرامته ..

وكان على ثورة ١٥ مايو ، بعد أن عادت بثورة ٢٣ يوليو الى مسارها وشرعيتها ، أن

تواصل السير فى الطريق وتكمل المشوار ..

وبدات الخطوات باسلوب واع وحكيم ..

■ **اعادت للشعب الشعور بالانتماء ..**

■ **انتهت كل الاجراءات الاستثنائية وفى مقدمتها اغلاق المعتقلات والغاء الحراسات .**

■ **أقامت دولة المؤسسات .**

■ **أعادت للقانون هيبته ، فاصبح لاسلطان الا له ..**

وبهذه الخطوات بدا الشعب يشعر بالطمأنينة ذلك انه عاش سنوات طويلة فى حالة « **شهيق مستمر** » وبعد فترة من ممارسة ثورة ١٥ مايو لمبادئها بدات « **عملية الزفير** »

ومع ذلك فلم يمنع هذا أن يستمر الاحساس بالتمزق بين الجماهير .. وكان مصدر هذا الاحساس ومبعثه هو الهزيمة التى نزلت بنا فى يونيو ١٩٦٧

وكانت ثورة ١٥ مايو تدرك هذا ، وتعيش مع جماهير الشعب ، وتقدر احساسه ، ولذلك كان شاغلها الاول بعد انتهاء تحقيق « عملية الزفير » أن تسترد للشعب كيانه وكرامته

وبدأ الاستعداد للمعركة ..

وبرغم كل الشكوك التى كانت تساور البعض ..وبرغم كل الظروف الصعبة التى واجهتنا فى رحلة ما قبل المعركة .. سار العمل فى ثقة بالنفس واعتماد كامل على امكانياتنا وقدراتنا ..

الى أن جاء يوم ٦ اكتوبر المجيد ودخلنا المعركة .. وانتصرنا .

وكانت مفاجاة ..متوقعة من البعض .. ومذهلة للبعض الاخر ..

متوقعة من القيادة التى كانت تخطط ، وترسم ،وتتحمل كل الوان واشكال المعاناة ، ومذهلة لهؤلاء الذين كانوا واقعين تحت وهم الدعايات الكاذبة ، او الذين كانوا يتمنون نتيجة عكسية من امثال العقيد المريض ..

جاءت نتيجة حرب اكتوبر لتؤكد وتعمق شرعية ١٥ مايو وقيادتها ..

ولتصبح دليلا جديدا على ثورية ١٥ مايو .

وكان على ثورة ١٥ مايو بعد نصر اكتوبر أن تبدأ اقتحام ثلاثة مسارات متوازية ..

□ **تحرك سياسى على الصعيد الدولى يتوج حرب اكتوبر بتحقيق الهدف الاكبر ..**

□ **الانتقال من**

الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية ..

□ اعادة الدماء الى شرايين الاقتصاد المصرى

وبدا التحرك على الصعيد الدولى .

ولم يكن من الممكن ان نبدا هذا التحرك قبل ان يسبقه تحرك على الصعيد العربى باعتبار أن التضامن العربى هو الاساس الذى ننطلق منه الى المجال الدولى .. وكان التحرك على الصعيد العربى قد بدا فعلا قبل حرب اكتوبر بثلاث سنوات ، ولا جدال فى ان الرئيس السادات قد نجح فى أن يلم شمل العرب ، وأن يعيد صورة العرب الممزقة لكى تترابط من جديد ، وما حدث من تضامن عربى فى حرب اكتوبر فاق التصور والتوقع .

صحيح أن الصورة شابتها بعض الغيوم من جديد بعد فترة من حرب اكتوبر ، لكنها كانت ظلالا مفتعلة ، وغير طبيعية ، ومع ذلك فان بشاير التوفيق تملأ الجو العربى الآن ومصر فى هذا الامر بالذات معروف رأيها ، ومحددة سياستها .

□ مصر تؤمن باهمية التضامن العربى وحتميته .

□ مصر ليست لها معركة مع أحد وهى لاتدخل فى أى نزاع أو صراع مع أى عاصمة عربية .

□ مصر تعتز بانها الشقيقة الكبرى لكل الدول العربية وعلى استعداد دائما أن تتحمل « أخطاء الغير » .. بروح عربية قومية .

هذا ما يتعلق بالساحة العربية ..

ماذا عن الساحة الدولية :

بعد حرب يونيو ١٩٦٧ والنصر الذى حققته اسرائيل عاش العالم كله فريسة لحملة اعلامية صهيونية لم يسبق لها مثيل ، وللاسف فلقد كان لدى اسرائيل من وسائل الدعاية — نتيجة لهذه الحرب — ما مكنها من أن ترسم لنفسها صورة الدولة العظمى ، وترسم للعرب صورة مشوهة ومؤسفة .. ونجحت اسرائيل فى ذلك .

افلام سينمائية بلا حصر ، وكتب بالمئات ، وبرامج فى التليفزيون تقتحم بيت كل مواطن فى العالم ..

واذكر اننى فى عام ١٩٦٩ شاهدت محلا للعب فى احدى المدن الاوروبية صمم كل اللعب التى وضعها فى واجهة محله باشكال قادة اسرائيل .. أى أن الصهيونية لم تترك حتى الاطفال الا وحاولت كسب

اعجابهم ، وتشويه صورة العرب فى نفوسهم ..

أمريكا .. موقفها معروف.

اوروبا الغربية بكاملها كانت تقف مع اسرائيل ..

افريقيا أقامت مع اسرائيل علاقات ديبلوماسية واقتصادية

آسيا كان معظم دولها تعطف على اسرائيل ..

ولقد ادت هذه الصورة المزعجة الى تسرب اليأس الى كثيرين من صناع القرار فى العالم العربى ، وهيىء لهم أن تغيير هذه الصورة أمر يحرق كل من يحاوله ..

وجاءت حرب اكتوبر .. وكانت بمثابة الناقوس الذى دق ليفيق هؤلاء الذين حقنوا بمخدر الصهيونية وبدأت مصر تتحرك ..

وكانت زيارة الرئيس السادات الاولى لفرنسا التى وقفت وتقف معنا بشكل يدعو الى الاعجاب والتقدير ..

ثم جاءت الزيارة الثانية لامريكا ..

ولقد علقت احدى الصحف البريطانية على هذه الزيارة بقولها ان الرئيس السادات يذهب بنفسه الى عرين الاسد !!

وذهب السادات الى امريكا وكانت زيارته بمثابة تحطيم للاسطورة التى عشناها سنوات طويلة ، بأن لا أمل فى أمريكا ، واى محاولة معها اضاعة للجهد والوقت ..

استقبل الرئيس السادات استقبالا حافلا .

ولن انسى زيارة الرئيس للكونجرس وكيف استقبله الاعضاء وصفقوا له ..

ومن على المنبر الذى طالما سمع تأييدا لاسرائيل وهجوما على العرب ، **وقف الرئيس السادات ليقول رأيه فى صراحة وشجاعة فى سياسة امريكا وفى مطالب العرب ..**

وبدأت علامات التغيير تظهر على سطح السياسة الامريكية ولست أدعى أنها أخذت قوة وسرعة الريح انما هى «نسمة» يمكن بالمثابرة أن تقوى وتشتد ودليل ذلك :

●● أولا : الموافقة على أن تبيع امريكا لمصر ست طائرات لنقل العتاد الحربى ، واهمية هذا القرار ليس فى الصفقة ، ولكن فى المبدأ الذى يمكن أن يتطور الى الاحسن وهذا هو سر ثورة اسرائيل ضد القرار ..

●● ثانيا : رفض الرئيس الامريكى فورد — وهو مقدم على انتخابات — زيادة المعونة لاسرائيل .

●● ثالثا : منظمة تحرير فلسطين اصبحت موضع مناقشة فى أمريكا كممثلة للشعب الفلسطينى ، الذى اعترفت بحقوقه السلطات الامريكية ، حتى ان كارتر — ذلك الصاروخ الذى انطلق فى سماء الحزب الديمقراطى والذى أصبح تقريبا هو مرشح الحزب فى الانتخابات ، تحدث فى حديث له مع « النيوزويك » عن منظمة التحرير وضرورة التعامل معها ..

ولقد زارنا مؤخرا السنانور

جاكوب جافيتس وهو من أكثر اعضاء الشيوخ تأييدا لاسرائيل وقد زار ايضا سوريا واسرائيل

وما قاله فى القاهرة قاله فى دمشق وقاله فى تل أبيب .

قال جافيتس :

ـ لا يصح أن تعطل الانتخابات فى أمريكا أو فى مصر أو فى اسرائيل عملية اقامة السلام .. لابد وأن تستمر هذه العملية بصرف النظر عن الانتخابات ..

وهذا هو السر فى الهجوم الذى يتعرض له جافيتس الان فى صحافة اسرائيل ، لانها ـ أى حكومة اسرائيل ـ تلعب أوراقها على اساس تغيير القيادة الامريكية لكى تكسب اسرائيل اطول وقت ممكن وتؤجل تحقيق السلام ..

ثم كانت الخطوه التالية للرئيس السادات زيارة عدد من دول أوروبا الغربية ..

والنتائج العظيمة التى اسفرت عنها تلك الزيارات معروفة ومعلنة رسميا ..

بريطانيا والمانيا الغربية وايطاليا والنمسا تعلن تأييدها لجلاء اسرائيل عن كل الاراضى العربية وضرورة قيام الكيان الفلسطينى ..

وما تعلنه كل تلك الدول ينسحب على كل دول السوق الاوروبية المشتركة ..

أما بالنسبة لافريقيا فمازال موقفها كما هو بعد حرب اكتوبر .. لا علاقة مع اسرائيل ولا تعامل اقتصادى أو تجارى معها ..

والدول الاسيوية فى الامم المتحدة وقفت تؤيد القضايا العربية وتتحمس لها ، وزيارة السيد حسنى مبارك للصين تؤكد الصداقة التى تربطنا ببكين .

كل هذا يعنى أمرا واحدا .. أن حركة مصر ـ المنبعثة من مبادىء ١٥ مايو ـ قد نجحت وحققت الكثير .. الكثير .. لا بالنسبة لها فقط ، انما ايضا بالنسبة للقضية الفلسطينية ..

وكان المسار الثانى لثورة ١٥ مايو هو العودة الى الشرعية الدستورية ..

وقد تم ذلك فى خطوات كل واحدة مترتبة على التى قبلها.

■ رفع الرقابة عن الصحف ..

■ تطوير الاتحاد الاشتراكى ..

■ تطبيق الديمقراطية السياسية عن طريق التنظيمات السياسية كنواة لعودة الاحزاب فى المستقبل ..

وبهذا اصبح الدستور هو الحكم فى كل شىء ..

واعلن الرئيس السادات أن القوات المسلحة المصرية قد بدأت تأخذ على عاتقها حماية

الدستور .. اى حماية الشرعية الدستورية بعد ان انتهت مرحلة الشرعية الثورية ..

وبهذا تكون ثورة ١٥ مايو قد حققت كل المبادىء التى قامت عليها ثورة ٢٣ يوليو ..

يبقى بعد ذلك المسار الثالث .. وهو اعادة الدماء الى شرايين الاقتصاد المصرى ..

ونحن نعلم ان هذه الشرايين كانت قد استنزفت استنزافا خطيرا ادى الى تصلبها ، ولقد ساعد على ذلك أن الاقتصاد العالمى كله فى السنوات الثلاث الماضية تعرض هو الاخر لمشاكل التضخم والبطالة والكساد ، ولا شك أن ذلك اثر ايضا على اقتصادنا ..

ومع ذلك فنحن الان نواجه الموقف بشجاعة وصبر الى ان تعود الدماء لتجرى فى شرايين الاقتصاد المصرى ..

كانت سياسة الانفتاح اولى الخطوات ..

ونحن الان بصدد سياسة التقشف ..

ومع العمل المتواصل لزيادة الانتاج الزراعى والصناعى سنعبر باذن الله هذه المرحلة الصعبة ..

هذا عرض سريع لرحلة ثورة ١٥ مايو فى خمس سنوات .

وهى رحلة تميزت بالصدق مع نفسها ومع الجماهير ومن هنا فكل ما وعدت به حققته .

والسؤال الان : ما هو المطلوب من ثورة ١٥ مايو بالنسبة للمرحلة القادمة ؟

بالرغم من أن الرئيس السادات قد اعلن عن انتهاء مرحلة الشرعية الثورية وبداية الشرعية الدستورية الا اننى اعتقد أن هناك بعض القضايا التى تحتاج الى معالجة بالاسلوب الثورى وهى فى رأيى :

■ ■ اولا : الانفتاح الاقتصادى وقضية الانتاج بوصفهما اساس عملية الاصلاح الاقتصادى كله ..

■ ■ ثانيا : محو الامية وهى قضية فشلت فيها ثورة ٢٣ يوليو وعلى ثورة ١٥ مايو ان تعوض هذا الفشل ..

■ ■ ثالثا : الزيادة الرهيبة فى تعداد السكان ..

■ ■ رابعا : التوسع العمرانى فى الصحراء كاساس لحل ازمة الاسكان .

اما عن الشرعية الدستورية فهى التى ستحمى البناء الديمقراطى فى مصر سواء من ناحية المؤسسات الدستورية وحرية الصحافة او العمل على نجاح التنظيمات السياسية الجديدة ..

يبقى قبل ذلك وفوق كل ذلك قضية تحرير الارض .. ونحن الان نخوض فى سبيلها معركة سياسية لاتقل ضراوة ولا اهمية عن المعركة العسكرية والتحرك السياسى الذى نقوم به طرفا فى المعركة .. وتنويع مصادر السلاح الطرف الاخر منها ..

ونحن نقبض على الطرفين
بايمان كامل بقدراتنا وامكانياتنا
وبثقة فى النفس لا حدود لها ،
وكل هذا يتم تحت مظلة عودة
الشعور بالانتماء الى جماهير
شعب مصر .

على حمدى الجمال